الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمَلُ عُنْوَةً

عبد اللطيف اللعبي

ترجمة: محمد خماسي

عنوان الكتاب باللغة الفرنسية:

L'Espoir à l'arraché

ترجمة عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية:

Forced Hope

By Abdellatif Laâbi

الطبعة الأولى: يناير ـ كانون الثاني، 2023 (500 نسخة)

Arabic Translation Copyrights@Dar Al _ Rafidain 2022

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة/ All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

بغداد ـ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 9647811005860/+9647714440520+

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar AL Rafidain دار الرافدين

daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 59 - 8

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى غيوان

Post horizon.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرَضِيّة

كان من الممكن

أن أعيش

حياةً أخرى

على النّقيض

من الّتي عِشتُها

أن أولَدَ

في حِقْبَةٍ أخرى

في أبْعد حقبة مُمْكِنة

أن تُنجِبَني

ثَدييّات أُخرى غير الإنسان

ثَدْيِيّات مائيّة مثلًا

أن أخرج

من بذرة مدفونة في الأرض

وأَنْبُتَ شَجَرَةً

أيًّا كانتْ

أن يقْذفَني

بُرْكانٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وابْرُدَ واتصَلب

فأستحيل صخرًا!

كان من الممكن

ألّا أعيش

إلّا فصولَ الحياةِ الحاميةَ

عهدَ الكلمات الأولى

والآلام والأفراح الأصليَّة

أَشْهُرَ الحبّ الجنونيّ

النّاريّة المتوحِّشةَ والمُرهَفَةَ

زمنَ الحُلم

الَّذي لا يقلُّ جنونًا

حيث نَقْبِضُ على المستحيل

مِنْ دون تردّد

حيث نُسِرّ إلى النّفس

بأنّ أيّام السّوء ستنتهي

لا محالة

كان من الممكن

أن أزحَل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قبل فوات الأوان

وَسيمًا غامِضًا

أفوح شذى طبيعيًّا

بَهِيَ الرّومانسيّة

حادًّا كالوَميض

أهلًا لِأكون خادمًا مُداوِمًا

للمستحيل

كان من الممكن

أن أصمُت

أن أصمُتَ نهائيًّا

وأن أُوَفّرَ على أشباهي

مثل هذا اللّحن الحزين

أن أَتَسَلَّحَ بصَمْتِ

مَنْ لا يعرفون من البحر

سِوى الأمواجِ العَدُوّة

ومقبرةِ الأعماق

الّذين يغسلون وُجوههم

في الوحل القارِس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِدَمِ الأسلاك الشَّائكة

الّذين يتَّهِمُهم كلّ شيء ويُدينُهم:

الاسم واللَّون

اللُّغة والبلد

أَنَفَة الرِّجال غير المُناسِبة

خُصوبَةُ النِّساء الوقِحة

الّذين يحدِّثوننا بفصاحة

بحركات بسيطة

أو بصُوَرٍ خَطيفة

الْتُقِطَتْ لهم في غفلة منهم

أحياء أو أمواتًا

كان من الممكن

ألّا أكون هنا هذا الصباح

لأتفحَّص الليل

في وَضَحِ النّهار

وأخلِطَ

بين مأساتي الصّغيرة

ومأساة العالم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللامتناهية

وأملأ ثمّ أملأ الأوراق

عوضَ أن أنفخ وأنفخ

في صُورِ الغضب العظيم

حتى تنفجر رئَتاي

كان من الممكن

أن ألوذ بِكَهْفٍ

وأن أوصِدَ مدْخَلَهُ

وأتمرَّن داخِلَهُ

على الصّمَمِ

والعَمى

وانعدام الإحساس

أن أضع حدًّا

لضجيج الصُّوَر

وأُسَلِّمَ ذاكرتي

لِكبير المُخَلّصين:

النِّسيان

كان من الممكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَلّا أوجَدَ

لا قَبْلُ

ولا بَعْدُ

ألّا أكون سِوى كُمونِ

افْتِراضِ

ومن العَدَم

جُزَيْئَةٌ بعيدةُ الاحتمال

لن تُدْرِكَ النّضج أبَدًا

وانْتهتِ الحكاية!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صَلاة

بما أنّ ذلك لازم

سأتقمّص دور

المُؤْمِن المُقيم لشعائره

سأتوضّأ

الوضوء الأكبر وليس العاديّ

قبل أن أبسط فوق مكتبي

لبدة الصّلاة

سأُقرأ الشّهادة

دون أيّة زَلّة

سأُؤدّي العدد الواجب

من الرّكعات

سأزيح عنّي

وِزْرَ العالم

ومعه وِزْرَ الحياة

الحقيقيّة أو المزعومة

سأتخلّص من الهموم

حتّى أغدو أخفَّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِنْ أَتْفَهِ الحشرات

سأتصاغَرُ

عَنْ وعْيٍ

وبنوع من الغبطة اللَّئيمة

كلُّ ذلك لِأتضرَّع

لإلهٍ وثَنيٍّ

يتسمّى بـ»الشِّعْر«

لِأَلْتَمِسَ مِنْهُ ماذا؟

أَنْ يُسْعِفَني لِأَهْزِمَ

هاجِسَ

البَذاءة والسَّخف

الّذي يستبِدُّ بي

كلَّما همَمْتُ

بِإحياء شريعته

جالِسًا أو واقِفًا

أمام ورقة الصَّلاة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُغَفَّل

طَوال حياتي

رافقني

هذا الشّعور بأنّي مُغَفَّل

لسببٍ

لا أستطيع تحديده

رغم أنّي

واثقٌ من معرفته

بَلْ لا أعرف إلّا إيّاه

أحيانًا

يكون اسمه على طرف لساني

أعرف أنّه يبدأ

بحرف الباء

إن لم تكن الفاء

لكنّي لا أظفر بشيء

مغفَّلٌ في ما يخصّ ماذا

في ما يخصّ مَنْ

ومنذُ متى؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسنًا

أقْبَلُ أن أكون مُغَفَّلًا

الأمر ليس بالجسامة المتصَوّرة

بل هو عاديٌّ جدًّا

قد يكون الجميع مُغَفَّلًا

والعِلْمُ بذلك

يُقَرِّبُ الناس من بعضهم

ويُطَمْئِنُهم على الأرجح

فَهَلْ يُمْكِن القول حينئذٍ

إنّه إضافةً للضَّحِك

واللُّغة

فَأن يكون المرء مغفَّلًا

ذاك مِنْ ميزات الإنسان؟

ولِمَ لا

قَدْ أُضيفُ لهذه القائمة

الخِيانة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُناوِئون

مُناوِئيَّ

مُخبِطون

يبلغ بهم الخجل

درجة الجُبن

أو الحقد العنيف

فيخبطون خبط عشواء

ولأجْل توازني الذّهني

وصحّتي النفسيّة

أحْلُمُ بِمُناوِئين من طينة أخرى

جافّين وبلا أوْهام

قُساةٍ وعلى عِلْم

بارعين في دقائق الأمور

وفِخاخ اللّغة

متمرّسينِ بالجَدَل

ولهم قابليةٌ للسُّخريّة

سيكون عليهم

أن يحاصروني بلا هوادة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في آخر معاقلي

أن يعدّوا مُنتقَيات دامِغة

من تناقضاتي

أن ينكَأوا

جراحي الدّفينة

ومَهْما يَكُنْ

فمهمّتهم لن تكون شاقّة

مع حسّ السّخرية من الذات

الّذي نمّيتُه

يُمْكِنُ أن أَمُدَّ لهم يَدَ العَوْن

فليس فقط

قلبي

هو ما أنتظر أن يقوموا بتعريته

بل كلّ شيء يتعلّق بي

كلّ شيء:

الطّواطم والتّابوهات

صندوق أدوات الدّماغ

ظاهر الجنس وباطنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهلع القادم من العهود البائدة

مسرح العبث

الّذي يحتلّ أحلامي

أفكاري

رغباتي

وآمالي الّتي ماتَتْ في المهد

عُنْفُ غرائزي

غضبي الأسود

المُتجانس مع الحقد

وَلَعي بالحياة

الّذي يلامس البذاءة

لكن من عَساهُ يقبل

بمثل هذا العمل الشّاق

بلا مقابل؟

ربّما أنّ المناوئين

الّذين أحتاجهم

عَلَيّ

أن أدفع لهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سِرّ

لست أدري

أَصَغير هو أم كَبير

هذا السّرّ

الّذي سأكشف عنه

أحيانًا

في لحظة الكتابة

أشعر في دواخلي بفراغ سحيق

يتعطّل تفكيري

ومَلَكاتي الاعتياديّة الأخرى

يتملّكني الذّعر

لأنّه يغيب عنّي

كيف تُركّبُ جُملةٌ

أوْ ينصرف فِعْلٌ

تنتابني شكوك

حول إملاء أبسط الكلمات

خبزٍ أو ماءٍ أو عينٍ

أمّا النّحو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَحَدِّثْ ولا حَرَج

إنّه يُزهِبُني

ومِن الجَلِيِّ

أنَّني أستحيل من جديد...

أُمِّيًّا

أُضيفُ

أنّ هذه الظّاهرة

ليست حديثة العهد

فمنذ صِغَري

مرورًا بِشرخ الشّباب

عَرَفْتُ

بشكل دوريّ

هذا الاحتباس المُباغث

الّذي يعطِّلُ

صفات الإنسان «المُتعلِّم» لَدَيَّ

ويعيدُني إلى طبيعة

ووَعْيِ

الإنسان البِدائيّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السّابق على تَكَوُّنِ اللّغة

هَلْ من تعليق؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مِلَلٌ

لساني يتَحَرَّقُ

مُستَعْجِلًا بَوْحًا آخر

آمَلُ ألّا أُلامَ عليه

الدِّيانات

لَطالَما أزعجتني

عِوَضَ أن أمارس شعائرها

تشابَكْتُ مع نصوصها:

روايات

تزعم أنّها تاريخيّة

ولها قابليّة كبيرة

للاقتباس المسرحيّ

يكون فيها الهزليّ حزينًا

والمأساويّ لا يخلو من أفراح

وحيث الشِّعْرُ

لا يتورَّع عن القيام بدور مُكَدّر:

تغذية

طاحونة الصلوات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بُكرة وأصيلا

ومن المهد إلى اللّحد

لَكُمْ أنْ تفهموا

حاجتي الحيوِيّة

إلى قراءات أخرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عُذرِيّة

ثمّةَ عَهْدٌ

كان فيه»صيّادون«

يحومون حولي

في البداية

لم أكن أدرك

أسبابَ

انجذابٍ كهذا

كنت أتساءل

إن كانت تَفوحُ مني

رائحة الشيطان

أم شذى الورد

انتهيتُ إلى أن أخمّن

أنّ ضالّتهم

لم تكن سوى

عُذرِيَّتي!

والحقّ أنّه في ذلك الزّمن

كنت قد خرجتُ للتّوّ من السّجن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت عُذْرِيَّتي

في باب الفساد

تضاهي

نضارة مريم البتول

والبقيّة معروفة:

قنّاصة الرّؤوس

سَرْعانَ ما خاب مسعاهم

بل اشمأزّوا

فرفعوا أيديهم عنّي

وحاموا حول

فرائس أخرى

أقلّ مُمانَعَةً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتَذَكّر

أتَذَكّر الجلّاد

ما مِنْ لحظة أهانني فيها

في عينيه المفتوحتين عن آخِرِهما

خِلْتُ أنّي أرى الدّهشة

كما لو أنّه كان أمام

مادّةٍ

لا تخضع لأيّ شيء:

قِطْعة خَشَبٍ

لا تخترقها المسامير

قضيبٌ من حديد

أكثر هشاشة من البِلّور

كُتلة طينٍ

تأبى أن تتّخذ أيَّ شَكْلٍ

جرّة أو فنجان أو طَاجِن

طَبْل

لا يُصْدِرُ سِوى صَفيرٍ

كان المغلوب على أمْرِهِ يشقى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يشبِعُني شتمًا

من دون أدنى ابتكار

يصفعني باليدين معًا

وبحسّ إيقاعيٍّ لا يُنْكَر

وينْهال علَيَّ ضربًا

دون حماس زائدٍ

وليأخذ قسطًا من الرّاحة

يعلِّقُني في خُطّاف

كما هو معمول به في أرض الإسلام

مع الخروف المسلوخ

يوم عيد الأضحى

فيشعل حينها سيجارة

ويتجرَّعُها بِنَهَم

ورغم جنون الألم

الّذي أغرقني فيه

بقيت أقرأ

في عينيه المفتوحتين عن آخرهما

الدّهشة نفسها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورغم هذا وذاك

لم يحدث أن أهانني

في أيّ لحظة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثَغْرات

ثَغْراتي

لا تُعَدُّ ولا تُحصى

رغم أنّه

لو انهارت مكتبتي

لَكانَ من الممكن

أن أموت

مَوْتَةَ الجاحظ

مُنْسحِقًا

تحت ثقل كلّ الكتب

الّتي قرأتُها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دُموع

أُفَضِّل أن أبكي

ليلًا

أثناء نَوْمي

في غفلة من الجميع

امتياز آخر:

في اليوم الموالي

أستيقظ ضاحكًا

من دون احمرار

في العينين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اسْتِعْجال

لم يعد لديّ وقت

للصَّبر

أَتْرُكُ الحكمةَ

لِشُعراء الواقعيّة

لِرسّامي الحُلول الوُسْطى

لموسيقيّي الرّصانة

إنّي أستعجل

نهاية حقّة

وبداية حقّة

وإعادة تشكيل الكَوْنِ

حيث تكون آلاف الكواكب

مَعْمورةً

كما كان كوكبنا

وحيث تُتاح لنا حرّية العيش

في مَجرّة نختارها

إنّي أستعجل مُسْتقبَلا

واضِحًا لا غبار عليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَبتكر استثنائيًّا

من الألف إلى الياء

ماضيه الخاصّ

جَلِيٌّ إذًا

أنّه لم يعد لديّ وقت

للصّبر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زِيارَة

زارني الموت

وانسحَبَ بسرعة

ذاكرتي

تأبى أن تُزوّدني

بما دار بيننا من أحاديث

أهي صِيَغُ تأدُّب

أمْ مُؤاخذات؟

لستُ أدري

كلّ ما أذكره

هو أنه

في نهاية اللّقاء

كنتُ راضيًا تمامًا

أكاد أموت...

غَمًّا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَخَلٍّ

الباب الموارَبُ

والّذي نعرف أنّه

الأخير

لِكي ندفعه

يَلْزَمُنا أكثر

من الشّجاعة

يلزمنا

نُبْلُ التّخلّي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهامِش

الوشائج انفَرَطَتْ

من تلقاء نفسها

من دون عنف مادّيّ

أو لَفْظيّ

من دون اتّهامات جِسام

أوأزمات عصبيّة

وداعًا أيّتها الأغلال

الّتي بَدَتْ لي وَدُودةً

ها أنا أفُكّ رِباطي

أعتزِلُ

وأستعيدُ مكاني

في الهامش القَصِيِّ

أخمّن أنّه

سيكون

آخر عنوان معروف لي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكأس

طَفَحتِ الكأسُ

إلَيكُمْ مُكوّناتها:

ثُمالَةٌ مِنْ يأسٍ

تعطي الحَياةَ

نكهةً بطعم المرارة

يحَبِّذُها

المتذوقّون العارفون

ثُلُثٌ من الدّم

السّاخن

بَشَرِيٌّ محض

وأقلّ تكلفة من ماء الصّنبور

ثلث من الدّموع

حُلوة ـ مُرّة

ذَرَفَتْها

أحلى العيون

نَزْرٌ من السخرية

المُعتّقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُختَفَظُ به طريًّا

على درجة ثابتة من الشّراسة

قُلافَةُ فلفل

تُلْهِب الفم

وقشدة خفيفة

من غضب أسود

الكلّ

من دون مُشهّيات

يُشْرَبُ بِجُرْعَةٍ واحدةٍ

على انفرادٍ تمامًا

بإرادَةٍ لا تتزعزع

في مواجهة الكارثة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَجهًا لِوَجهٍ مع الكارثة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِواءُ الكراهيّة

حركة باذِرِ البُذور

ريشة الشّاعِرِ المعَلّقَة

الوجه المُقنّع

لقاطِعِ الرّؤوس

خرائب تَدْمُرَ

في ليل البرابرة

ماذا تَحْكين للنّجوم؟

فيلايي(1)

ابنة روزيتا

وحيدة

في توازن هَشٍّ

على سطح نُجَيْمَتِها

البارحة

توقّف قلبها عن الخفقان

كلّ الرّايات بِها شيء من السّخف

لكنّ الرّاية ذائعة الصوت

تلك الرّاية السّوداء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الّتي خُطَّ عليها بالأبيض:

الله

رسول

محمد

تلك الرّاية

شنيعة بكلّ بساطة

لنعترف للّذين يلوِّحون بها

أنّهم ابتكروا عن جدارة

راية الكراهيّة

ـ بالنّسبة إليهم

ما هو الخير الأكبر؟

ـ الشّرّ المطلق طَبْعًا

ـ وفيم يفيدهم الله؟

ـ في تلويث اللّغة

على الأكثر

ـ أينظرون في عيون ضحاياهم؟

ـ ليس أكثر ممّا نَنْظُر في عيون

الخروف، الدّيك أو الخنزير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي نهمّ بذبحه

أو فصده

ـ أيحبّون أولادهم الّذين مِنْ صُلبهم؟

ـ تلك هي الطّامّة الكبرى

أجل، إنّهم يحبّونهم

ـ إذن كيف يصبح المرء وحشًا؟

ـ منذ اللّحظة

الّتي يقترف فيها

أوّلَ فِعلٍ وحشيّ

فقط كسرة خبز

ماءٌ

وبين أذانَينِ

مجزرة اليوم

من تحت الأنقاض

الصّرخات

واستغاثات الأطفال

توقّفتْ

يومٌ آخر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مئة

مئتان من الأرواح تُزْهَق

ثَمَّةَ دائمًا

دَنيءٌ ما

ينْبَري مُعَلِّقًا:

«وتستمِرُّ الحياة!»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حَلَبْ

ولا كلمة عن حَلَب

أنتَ لا تستطيع ذلك

ماذا عسى المرء أن يقول

عندما يتلقّى

رصاصة بين العينين

أو ضربة خنجر

في القلب؟

كلّ حيلَتِهِ أنْ يختنق

لبضع ثوانٍ

قبل أن يستسلم للعدم

مُذْرِفًا دمعةً

من دون أن يدرك

وزنها السّاحق

ولا كلمة عن حَلَب

أنتَ لا تستطيع ذلك

لستَ سوى متفرّجٍ

لا حيلة له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَذحَرُهُ العار

واقعًا في شِراك هذا الماخور القذر

الّذي صارت إليه اللّغة

تَشْهَدُ

وتُنَدّد

أتستمرّ في هذه الغرغرة؟

أقول لكَ

ولا كلمة عن حَلَب

أنتَ لا تستطيع ذلك

14 ديسمبر 2016

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قَدَمُ الطّاغية

الطُّغاةُ

لا يتشابهون

مِنْهُمْ

طغاةٌ بوجه فَصيح

يَعِدُ بالدّموع وبالدّماء

باستكشاف معمّق

ومجّانيّ

لدوائر الجحيم التّسع والتّسعين

سيماهُمْ في وُجوهِهِمْ

لدرجة أنّ الكاريكاتور

الّذي يستلهِمُهُمْ

يقدّمهم على أحسن وجه

ثمة آخرون

بملامِحَ مُبْتَذَلَةٍ

بلا نُتوءات

عاديّون على العموم

قد لا نتخيَّلهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهم يواظبون على ارتياد

قاعات التّعذيب

فبالأحرى أن يلطّخوا أيديهم

أو يُعَمِّدون بِأُبَّهَةٍ

صَفَّ الجرَّافات الجديدة

الّتي ستنطلق

لِرَدْمِ الحُفَر الجماعيّة

الّتي مُلِئت حديثًا بِالجثث

نصف المحروقة

لِشُهداءِ الحرّيّة

إنّهم حَذِرون

مُوَسْوَسون

غاية في التّكتّم

شِعارهم:

«دَعونا نَقْتُل»

ومن بينهم

واحِدٌ

يهمُّنا بالخصوص هنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجتمع فيه كَمْ من أضداد

جسَديًا

ما زال الحيوان يافعًا

بِقِوام فارعٍ

ذَكَرًا شاحبَ الفحولة

بِأناقَةٍ بائدة

قد يبدو للبعض وسيمًا

وبعض النّساء يجِذنَهُ فاتنًا

نظرًا لِلُثْغَتِه

وشارِبِهِ المائل إلى الرّماديّ

والّذي لا يني يَخلِقُه ويُنْبِتُه من جديد

نفسيًّا

تُعوِزنا المؤشِّرات

من يدري إن كان هذا النّموذج

يشبه نيرون أو منغليه(2)

هولاكو خان أوالدكتور فولامور(3)

وحسب الجرائم الّتي تُنسَب إليه

فقد يكون أكثر دمويّة من بينوشيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأكثر دهاء من تشاوشيسكو

وأقلّ تنظيمًا من بُول بُوت

لكن عندما يظهر على الشّاشة

ماذا نرى؟

أهوبعينه أم ممثّل يحُلّ مكانهُ

أهو وجهه الحقيقيّ أم قناع؟

فمُرافعته الهادئة والرّصينة

عن نظافة يديه

مُبْهِرَةٌ حتّى لتحسبه

ملاكًا طاهرًا

إذًا

فأين الخلل؟

لنَبُثّ الصُّوَر من جديد

ها هو الطّاغية

في قاعة الاستقبال

يُناجي نفسه أمام زوّاره

ولا يفتأ يَلْوي عنق الحقيقة

مُستَويًا على كرسيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بنفسه الشرشاف

لكنّ حذاءه

على الأرجح خُفّ بمقاس كبير

يثير الانتباه

فهو يتمدّد بوضوح

بسنتيمتر واحد على الأقلّ

كلّما تفوّه بكذبة

وسَرعان

ما يحتلُّ الشّاشة بأسرها

إلى أن تتبيّن خدعة

الطّاغية

ليس من خلال استطالة أنفه

بل من تعاظم قدميه(4)

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيلانُ السّوريّ

لا أغفِرُ لِنفسي

أنّي لم أكْتُبْ شيئًا

عندما لَزِمَ الأمر

حول الطِّفل أيْلانَ

كنت كما العالم أَجْمَع

قد رأيتُ الصّورة

الّتي الْتَقَطَتْها له نيلوفر ديمير

الطِّفْلُ

بِسُمْنَةٍ خفيفة

مُمَدَّدٌ على رَمْلِ

ذلك الشّاطئ في بُودْرُوم

رأسه مُدَوَّر تمامًا

شَعْره ذهبيّ

شذّبه الحلاّق حديثًا

ينام بكامل ثيابه:

حذاء رياضيّ

سروال قصير أزرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقميص أحمر

كلُّها تبدوجديدة

وقد جفّت تمامًا

يستلقي على جنبه الأيمن

ورأسه متّجه ليس قِبَلَ المَشرق

بل قِبَلَ المَغرب

يبدو وكأنّه يتأمَّل

في هذه اللّعبة العجيبة

الّتي لَعِبَها معه البحر

فَبَعْدَ أن حَمَلهُ على ظهره

وهذْهَدهُ فوق ركبتيه

قذف به من دون سابق إنذار

بعنف في اليَمّ

أكان يجهل أنّ طفلًا

في الثّالثة من عمره

لا يتقن العَوْمَ بَعْدُ؟

لم أكتب شَيئًا

عن أيلان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما لزِمَ الأمر

أعترف أنَّ هذا التّقصير

لاحَقَني

إلى اليوم

كما لو كنتُ قابيل

وكانت عينُ هابيل

هذه الصّورة لِطِفْلٍ

بجمال مُذْهِلٍ

مُستلقٍ على الرّمل

ينتظر يَدًا

تمتدُّ إلَيْهِ

وتَرْفَعُهُ

لِيذهب للرّكض

على شاطئِ

حياةٍ أخرى

في حديقةِ

عالمٍ آخر

ليُهدْهَدَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على رُكْبَتَيْ وظَهْرِ

بحرٍ آخر

لا يلعب ألعابًا خبيثة

ومنذئِذٍ

كَبُرَ أيلان

وهذه السّنة

أَتَمَّ مرحلة الحضانة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَهَمّة

دُلّوني على نقطة واحدة

على خريطة العالم

حيث البشر لا يُعانون

سأهرعُ إليها

على الفور

لأرى المعجزة بأمّ عيني

لأتنشّقها

ألامِسها

وأستقرّ

قريبًا جِدًّا من بؤرتها

إلى أنْ أتأكّدَ

أنّه لم يكن هناك سراب

ولا خديعة

وبَعْدَ إتمام مهمّتي

سأعود بَيْنكم

وكُلّي امتِنان لَكُمْ

سأزوّدكم بتفاصيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما رايتُ وسمعتُ

وما شعرتُ به

وفي مَغمَعان الحَكي

وحماسة الشّهادة

لن أنْتَبِهَ لِما

سَيَعْتَري شيئًا فشيئًا ملامحكم

ابتسامات السّخريّة

الّتي ستشرع في ثَنْيِ شفاهكم

الغمزات الخاطفة

الّتي ستتبادلونها

وسَيَلزم الانتظار

حتى تنفجر قَهْقَهاتكم

في وجهي

كي أَحْمَرّ مِلْءَ وجنتيّ

خَجَلًا

سَيَنْبَري أحدكم

الأقل قساوةً أو الأكثر صلافةً

ليوقف هذه اللّعبة القاتلة قائلًا:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّ النّقطة

على الخريطة

حيث يوجد بَشَرٌ

يُفترَضُ أنّهم لا يعانون

وَضَغنا عليها الأصبع

بمحض الصّدفة

هيّا، عُدْ إلى رُشدك

لقد كان ذلك

على سبيل الهزْل!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصيدة على سَجِيّتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ

كنت أعتقد

أنَّ الشِّعْرَ يحميني

وإذا بي أكتشف

أنّه يجعلني عَطوبًا أكثَر

الصّفحة الّتي قرأتُها

وأَعَدْتُ قراءتها

إبراءً لِذِمّتي

ثقيلةٌ جِدًّا

لم أَعُدْ أقْوى على طيِّها

أفتح عيناي

وفي جَوْفي خوف

مِمّا سَأراه

أتَخَيّلُ

وأُعيدُ الكرَّة

من دون انْقِطاع

يا للنّدامة!

أتردَّدُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في التنفُّس بقوة

فَرُكام الجُثث

والجيفَة

قريبان دائمًا

صَمَمي

مع الأسف

لَيْسَ بالتّامّ

الرّأس

انْفَصَلَ ثانيّة

عن الجسد

نَسيتُ كيف كنت أفْعلُ

لِإعادة لَحْمِهِما

الوَهْمُ

مُريحٌ

لِنَعْتَرِف لَهُ على الأقلّ

بهذه الفضيلة

الصَّمتُ يتكلَّمُ أفْضَلَ

عن سوء الفهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والألم

والجنون العادي

الصَّمْتُ

مادَّةُ اللُّغَةِ

السّوْداءُ

في أيّامنا هذه

لم نَعُدْ نَسْتَفْهِمُ

إنّنا نتعَجَّب!

سماءٌ داخليّة؟

الفكرة خصيبة

ووقتُ تمْحيصها

ضَيِّقٌ لِلْأسف

مُذْ تَحَسَّنَتْ معرفتُنا بالكَوْن

لم يعُدْ مشهد المَجرّة

رومانسيًّا

كيف يمكن أن نَنْتشي

أمام مقبرة شاسعة

آهِلةٍ بفَراش اللّيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجهول

ما أنْ يُسَمّى كذلك

يغدو شيئًا ما معلومًا

الظُّلُمات

صادقة

إنّها لا تَخْدَع

إنْ نُظِرَ

من أعماق الكون

لِكُلِّ هذا الصّخب

الّذي يَهُزُّ كوكبنا

سيبدو دون شكّ

مُريبًا

أكثر مِن الأفعال

الأفكارُ الشِّرِّيرة

الّتي تخطُرُ ببال البشر

مُخيفة

يكفي النَّزْرُ اليسير...

بَيْدَ أنّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا «النّزر» يبدو

غالِبًا

وَهْمِيًّا

الرُّغبُ

يُنْهِكُنا

وفي دواخلنا يُنَكِّلُ

بالطِّيبة

ويَكْبَحُ حتى الرّغْبَة

الرّوحُ والجَسَدُ

تَعِبا من بعضهما البعض

لَكِنَّهُما لا يدريان كيف

يَفْتَرِقان

المقاومة

لم تَعُدْ تكفيني

يَلْزَمُني أكثر

لأشعر بنفسي من جديد

مُصادِمًا

ومُتَمَرِّدًا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خِفّة

أحلُمُ

وعيْنايَ مفْتوحتان

أكْتُبُ

وعيناي مُغْمَضتان

عَجَبًا

لَكَأنّها قصيدة!

جَمالُ الرّوح

جَمالُ الفِعل

سِحْرُ ضوء العتمة

أيعود للضَّوْء

أم للعتمة؟

لُطْفُ الإشارة

فَنٌّ قائم الذات

لُغْزُ البسمة

إنّهُ الحُبُّ يطرح السّؤال

ما في الصّداقة

مِنْ عَيْبِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سِوى سأمِ الجسد

ما جَدوى السّفر

إنْ كُنْتُ قادِرًا على الإحاطة

بالإنسانيّة

بِمُجَرَّدِ نَقْرَةٍ

في رأسي؟

تسعة أَشْهُرٍ

للحَمْلِ بالقصيدة

القصيدة حقًّا

ابْنَةُ الرّجُلِ

والمَرْأةِ طَبْعًا!

رِفْقًا بالخُدَّج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غَرامِيّاتٌ مُعَقَّدَة

أنا مُستاء من الحياة

وأفترض أنّها

مُستاءة منّي أيضًا

الّذي بَيْنَنا

لَيْسَ بَعْدُ حَرْبًا

هو فقط غَيْظٌ

تتَفَرَّدُ به

الغراميّاتُ المُعقَّدَة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنا والسّماء

رغم الغيوم

الّتي تَبدو مُتَوَعِّدَةً

تبقى السَّماءُ رحيمة

استقامتُها الأخلاقيّة

إنْ صَحَّ القول

تَنْبُعُ من تجرُّدِها التّامّ

يَغْرَقُ فيها النَّظَر

والصُّعود يتواصل

فَيَغْدو مُحْتَدِمًا

ثُمَّ على نَحْوٍ غامِضٍ

ينقلب

وفَجْأَةً

يرْكُضُ النَّظَرُ

وينزِلُ مُسرِعًا إلى أعماقنا

بعد أنْ استعار من السَّماء

بغضًا من استقامتها

وبعضًا من رَحْمَتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَشْك

في ثَنِيَّة أخرى

من ثنايا الزَّمَن

اليقظةُ غير المُتَوَقّعة

شلّالٌ لَبيب

تغْريداتُ عصفور

مفهومة تمامًا

نملة تروح وتجيء

فوق جفناي

يدي تُداعِبُ

فروة حيوانٍ

تَتعذَّرُ عَلَيَّ تَسْمِيَتُه

الحياةُ

الّتي تظْهَرُ في هذه اللَّحظَة

تُبلْوِرُ وَجْهَ

حُبٍّ وَشيك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طَبيعَةٌ حَيّة

يَنْفَتِحُ البُرْعُمُ

على ربيع خجول

انْتُزِعَ من بين مَخالِبِ الشِّتاء

رعشَةٌ لطيفة

تتسلَّلُ بين الأغصان

التَّوّاقة إلى الحُبّ

الشّمسُ

شَبَحٌ

يَشُقُّ طريقًا

وسط رَهْط السُّحُب

المُتضوّرة جوعًا

طلائع زَخّاتِ المطر

وحركة الخطّاط

عندما يتهَيَّأ لِرسم

قوس قزح

كفى!

لا يجوز شحن الصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طَلَبات

كَبْوَةٌ واحدة

وتذهب المكتسبات كلُّها

سُدىً

أيكون هذا كَشْفًا؟

لِنَكُن واقعيّين

لكن رجاءً

لِنَحدِسْ على الأقلّ

ما ستحفَظُهُ

الذّاكرة

تلك الأمّ الشّرسة

عن هذه المغامرة الجميلة

هَيّا نقدِّم

عَرابين حبّ أخيرة

أكثرَ رِقّة

شذرات من السِّرّ

تكون مفهومة هذه المرّة

لحظة عُنفُوان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث الأجساد

في أوْجِ مَجْدِها

تتفرّغُ للتّكوين

في عزِّ الفَناء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كاسِر

طائرُ النِّسيانِ الكاسِرُ

يحوم في أوقات منتظمة

فوق رأسِك

وحسب بعض العلامات

الدّالّة

يظهَر أنه مُتلهِّفٌ

للانقضاضِ على لحم ذاكرتك

الّذي ما زال دافئًا

والْتِهامِهِ

في لقمة واحدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَخَوُّف

هُنا

لا يأتي المساء فجأةً

إنّه يستوي بنعومة

لِكَي لا يُشْعِرَنا كثيرًا

بوِزْر انْسِحاقِه

ولا يلبث اللّيل

أن يطلق وُحوشَهُ

وفي غفوتي

سأجد نفسي بِلا بَيْت

ولا مقرّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غَرَق

السّفينة الّتي تحطّمت

تُشبِهُ البلد الّذي هِمتُ بِهِ

وَجَدتُ مكانًا

في قاربِ نجاةٍ

أُجَدِّفُ فيه مثل عَبْدٍ

يَلْسَعُ السّوط ظهره

ورُفَقائي في المِحْنَة

يزْعُمون أنَّهم يُسَمَّوْن بِسندباد

أو عوليس أو ماجِلّان...

لكن فَرَحَهُم الزّائد

يجعلني أشُكّ في صدقهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الجانِبِ الآخَر

الانصراف إلى الجانب الآخر

من النَّهر

من جِدار الحياة

يَحْدُثُ ذلك ليلًا

أكثَرَ مِمّا يحدثُ نهارًا

بَعْدَ حُلْمٍ مُغلقٍ بإحكام

ليس ثَمَّةَ من سقوط ولا صعود

ولا مَشْيٍ فوق الماء

أو على بساط من سَحابٍ

وللإيحاء بما تَبَقّى مِنْ وغْيٍ

ليس هناك سِوى كتلةِ ضوءٍ

بكَثافة مهولة

حلّت محلّ الدّماغ

وما هي إلّا ثوانٍ

وَتَخِفُّ الكثافة

ويَخْفُتُ الضّوء

سيتوقَّفُ التّنفّس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نَعرف ذلك ونقبل به

أهُوَ كُرْبٌ؟

أمرٌ لا شك فيه

يَلي ذلك

تنهُّدُ ارتياحٍ عميق

وحين نعتقد أنّنا ذهبنا

من دون رجعة

إذا بنا نستيقظ!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّي لَها

والآن

لا شيء يَغلو على القصيدَة

إنّها

أقوى من الحياة

أقوى من الموت

أجرؤ على قول ذلك

أعرف من أين تأتي

وعلى مَتْنِ أيّ آلام

لا تَذَرُ روحًا ولا جسدًا

إنّي لَها وإنّي إليها

راجِعٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هِيَ

هِيَ

الآتية من ذلك المستقبل

المُتاخِمِ للبِدايات

تُعْلِنُ عنها ضحكة في مُنتهى الكمال

والخَلْقُ أجْمَع ينظر إليها بذهول

وهي تُمْسِكُ من الطّرفين

خيط اللّانهائي

وعند دُنُوِّ المعجزة

يَتَعَرّى الأفق إراديًّا

والهواء يَنْدُرُ

كما في ذُرْوَة

الجِماع

استراحةُ

المُحارِبَةِ

عُجْزُها الشّاهق

بالكاد ازتَوى

من الإكسير الحارق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المُنحدَرات المُدوَّخة لخاصِرتيها

تُحرِّر في مُوَيجاتٍ مُتوانِية

أريجَ الفَرَج

فوق زَغَبِها الخفيف

الأثر النَّدِيّ

لِلسانٍ

أكثر خِبرة في هذا الباب

من الشّفتين

عند رؤيتها الجُزئيّة

الجزئيّة جدًّا

يتعاظم الزّمن

ويتعمّق

زَمنُها

هِيَ

«المجهولة»

الّتي ظننّا أنّا نعرفها

لِمامًا أو كثيرًا

تلك الّتي سَكنتْنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتّى النّخاع

حتّى أدقِّ تفاصيل

كوابيسنا

تلك الّتي من أجلِها تخلَّيْنا

عن عسل عيوننا الأصْهَبِ

لِنَخْتَفي بِلازَوَرْديّ عينيها العميق

تلك الّتي كان في حَضْرتها

كلُّ شيء في مكانه

ويؤدّي وظائفه:

الحواسّ الخمس

العَناصِر الأربعة

بل حتّى بعضًا

من الوصايا العشر

تلك الأكثر حميميّة

والّتي هي الآن

بِقَدْرِ ما تقترب

تَبْتَعِدُ لا محالة

ها هي ذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتكلّم

بِكلمات منتقاة بأناة

بجُمَلٍ مَرْصوصةٍ

تَدُقّ

دَقّ المِطرقة على السِّندان

ماذا تقول **هِيَ**

بقُوّتها الخارقة

الّتي لا يسمعها

الكائن المُثير للْجَدَل

إلّا جُزْئِيًّا

وبِأُذُنِهِ الذَّكَرِيَّة؟

رُبَّما مادّة كتابٍ

بين التوراة والقرآن

يحقُّ لِأيادٍ غير مُطَهَّرةٍ

أنْ تَمَسَّهُ

وتَقْلِبَ بِمَرَحٍ

صَفَحاتِهِ

النّاسخُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيكون حينئِذٍ

امرأة

والرّاوي

امرأة أخرى

دقيقةٌ

وربيعيَّةٌ

خريفيّةٌ عند الحاجة

رمضاءُ في الشِّتاء

تَخْدُمُ ساعة الحياة الحائطيّة

وتخدُمُها هذه الأخيرة

ومِنْ انبعاثٍ إلى انبعاثٍ

تَطْرَأُ

نَدِيَّةً ويَقِظَةً

الرّوح والجسد

توأمان سياميّان

يكْمُنانِ فيها

يا لِقُوَّتِها!

لا شيء يُفْسِدُها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رغم كثرة الشائعات

المرفوعة إلى مقام الحقائق:

نهاية التّاريخ

موت الإنسان

وفي مواجهة الانهيارات

تُلْقي **هِيَ** صرختَها

صرخة الّتي تضع وَليدها

وترسُمُ

بيديها الاثنتين

دائرة أمان

حول البِئر الفَلكِية

حيث يتبختر

نهر الذّاكرة

المُتَسيِّد

اللّغْزُ الأوَّلُ

هِيَ

الّتي تفْتَتِحُهُ

وتَغْدو مُرادِفًا له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبَعْدَ ذلك

سيكفيها أن تتَنَبّهَ

الشَّيء

والكائن

لِيُصْبِحَ اللُّغْزُ

مُنْذُئِذٍ مُصاحِبًا لهما

ثُمَّ يُدَثِّرُهُما

وهَلُمَّ أسرارًا!

بَيْدَ أنَّ للعقل حدودًا

ومِنْ ثَمَّ

تَفرِضُ الحاجة إلى الشِّعر نفسها

والقول بأنَّها

هِيَ المحرِّضة على ذلك

ليس مُجانِبًا للصّواب

رَغْمَ تَبَرُّؤِها **هِيَ** من ذلك

فَمَنْ ذا الّذي لا يفضّلُها

شيطانيَّةً

مُضَلِّلَةً جَهَنَّمِيَّةً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وافِرةً مُتَفَوِّقةً

هامِسَةً مُدَمِّرَةً

ماهِرَةَ الأصابع

خبيرة في الدُّوار والانتهاكات

غابويّة

تَفوقُ الواقع

دائما في الذُّرْوَة

من طبيعة خارج الإنسان

مَنْ ذا الّذي لا يُفَضِّلُها

أُنوفَةً مُستعصيةً

تَحُضُّ على تَرْكِ

الحياة المزيَّفة

مَتاعِ هذا العالم الخادع

للانطلاق في البحث

وتجريب جميع الدّروب

تَجاوزِ كلّ الحدود

تحدّي كلّ الأخطار

والدخول هكذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في مصاف الأساطير؟

مِنْ مُريديها

الّذين يُنْهون تعليمهم

هي لا تطلب أيّ التزام

أيّ طَقْسٍ

سُطِّرَ في الكتب الصّفراء

لا سبت

لا رمضان

لا قداديس ولا جلد الذات

الحرّية كلّ الحرّية

يَحْيا الجسد

تَحْيا الشّهوة

تَحْيا الحياة!

دوري يا مُدَوِّرات العقل

دوري بسرعة أكبر

يا مَواكِبَ الضحك الرّاقصة

المجد لِـ**تلك** الّتي تقضي

بِمَرَحٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الأفكار الضيّقة

والسّوداء!

من أين أتَت

هذه المِنَّة

هذا العبور المفاجئ إلى الفرح

إنْ لم يكنْ منها هِيَ؟

لها الحمد والشّكر

هي الّتي ورثت عن جنسها

هذا العِلم

المشِعِّ من الدّاخل

الّذي نادرًا ما يتوزّع بإنصاف

بين البشر

لا يُعْرَفُ مِقداره

إلّا حين نراها تمشي على الأرض

بخطوِها الدّرِب الشَّبِق

الشبيه بخطو سِنّوْرِيٍّ

وتنثُرُ حواليها

بُذورَها المُلْهَمة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَمًّا من البذور للحِكْمَةِ

ومثلَها للجُنون

هِيَ ثُقارِعُ

الشّجرة

«المعركة» ضارية

لكنّها ودّيّة

لا يكون الكلام

لأجل الكلام فقط

لا تُرفَعُ نبرة الصّوت

لا يتمّ تحريك الأغصان بتوتّر

كلٌّ واحدة تدري

ما تَدين به للأخرى

كم من أسرار تتقاسمان

كبيرها وصغيرها

عندما تَنْظُران لبعضهما

تَشْخَصُ العين إلى العين

لتقرأ فيها

ما تَدين به الأفكار للحَدَسِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما تَدين به الرّؤيا

لـ«صخرة الواقع»

ما يدين به الأزَلُ للموت

ما تدين به الحياة

لرفرفة الفَراش الخاطفة

عن هذا النّزال

لا نتوفّر

للأسف

على ما يكفي من الصور

كانت يا ما كانت

أما من ذكرى؟

إلامَ تشير السّاعة؟

إنّها واضحة النّهار

صَحْوة

وحارّة بعض الشيء

معذِرة!

لا تَلْبَث العشية

أن تسدل ليلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عسى ألّا تكون وابِلًا من المطر

أو ريحًا صرصرًا

أو صقيعًا ينشَقُّ له الصّخر!

من الحُسْنى ألاّ نجزم في الأمر

لكن لا مانِعَ من التَّمَنِّي

لقد آنَت الآوِنَة

لِمعاكسة اللّغة

في تحيُّزِها الذُكوريّ العنيد

ودفعها للاعتراف أخيرًا

بالمساواة بالتّمام والكمال

بين**هُوَ** و**هِيَ**

بَراعِمُها تنفجر

أكثر ممّا تتفتّق

في أيّ لحظة

من النّهار أو اللّيل

ضَبطتْنا متلبِّسين

بالإعجاب؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحقيقة

أنَّه إنْ كُنّا

أحياء

فذلك على دفعات فحسب

خطّ انحراف، خطّ حياة

خطوة على الجانب

عوض خطوة بعد خطوة

وحوالينا

جُدران

تغرز مخالبها في الأرض

مُعادِية للإلهام

وأكثر من ذلك

للجَمال

شَمْسُها

لَيْسَتْ مِنْ مَجَرَّتِنا

ورُبَّ سائل يسأل

هَلْ تَنْتَمي

إلى تاريخنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهي شبيهتنا أم إنّها بعيدة عنّا؟

أيَكون سِرُّها غير مقروء تمامًا؟

ثُمَّ

نَحنُ

هؤلاء الـ«هُمْ»

هؤلاء المعطوبين

مَنْ نحن ومن أين أتينا

ما الّذي أضعْناه

واستطاعت **هِيَ** وحدها

أَنْ تُحافظ عليه؟

هِيَ

وأنا؟

خروجٌ عن الموضوع

وحتّى لَوْ...

فالأسلحة ستكون غير متكافئة

أعتذر

عن هذا التّدخّل

المتطفِّل و...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النَّزْجِسِيّ

(هذه هي الكلمة الّتي كنتُ أبحثُ عنها)

حسَنًا

عَلَيّ أنْ أخرج...

لَنْ نربح شيئًا

هنا والآن

ونحن ندعو الرّبّات

زوجات آلهةٍ أو عازباتٍ

نحن في القرن الحادي والعشرين

والأحياء هم من يهُمّنا

وهِيَ

ليست موضوعة في متْحف

ليست ممدّدة

وسط أنقاضٍ

يستهدِفُها الهَمَج

ولا تملأ صفحات وصفحات

في موسوعات متعالمة

وفي كتب التّرفيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا

إنّنا نسمع بوضوح صوتَها

ضحكتَها

موسيقى خطواتها

عندما يهتزّ لها

أديم الأرض المتوتّر

عند مرورها

يُسْمَحُ برفع رَفْلِ

أريجها

وها في السّرير

يغمينا عُزْيُها

«لِصالحِنا»

مَنْ غيرُها **هِيَ**

كان بإمكانه أن يمنح اسمَه

لفاكهة الولَع

مَن غيرُها

يقوى على قطع وردة

دون أن يجرحها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَن غيرُها

حين يداعب الوحش بصدق

يتمكّن من إغراقه

في نوم عذب

مَن غيرُها

بغمزة مُتَواطِئة

يُسقط العصفور من غصنه؟

إنّها معجزات

صغيرة أكيد

لكن قريبة من إدراكنا

عند النَّظر بعيدًا

فـهِيَ ترى إلى الأمام

دائمًا إلى الأمام

إنّه ذوقٌ

اشتهاءٌ للمستقبل

يملأ فمها عبقًا

الماضي

تحمله هِيَ معها في أسفارها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما قد تفعل الشّجرة الرّحّالة

بجذورها

هل يمكن أن نكون أحرارًا أكثر

بعد طول الزّمن

الّذي كنّا فيه

عَبيدًا؟

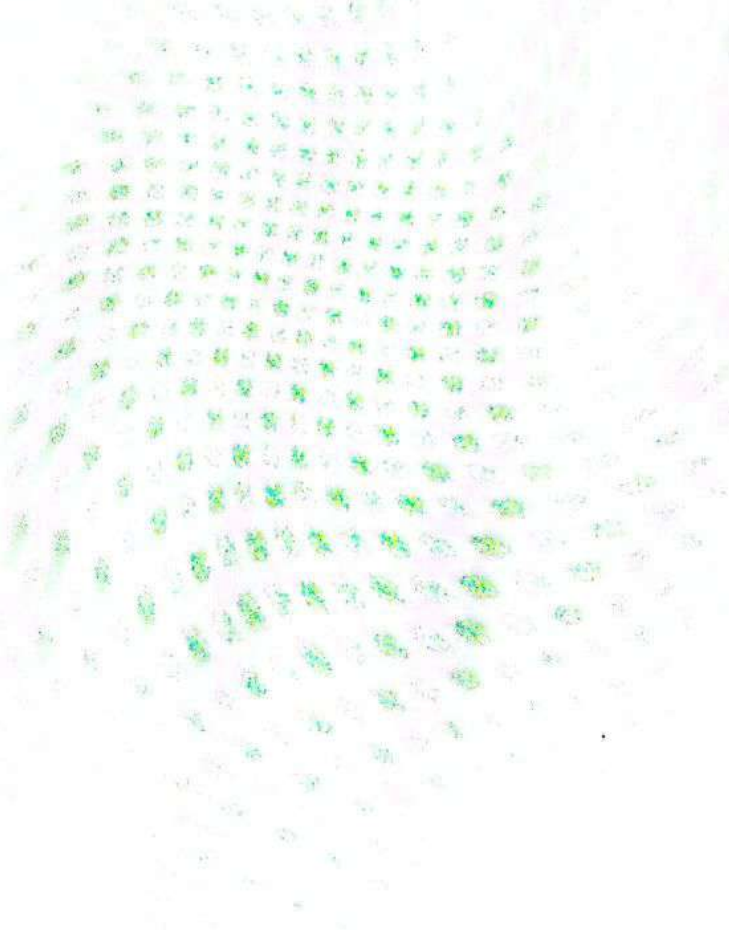

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إبراء الذِّمّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَشْهَدُ

أشهدُ أنْ لا إنسانَ

إلّا الّذي يَخْفِقُ قلبُه حُبًّا

لكُلّ إخوتِه في الإنسانيّة

الّذي يتطلّعُ بشوْقٍ

مِنْ أَجْلِهِمْ أكثر ممّا لنفسِه

إلى الحرية والكرامة والسلامْ

الّذي يُؤمنُ بأنّ الحياةَ

أكثرُ قَداسَةً

من مُعتقداته وآلهَتِه

أشهدُ أنْ لا إنسانَ

إلاّ مَنْ يُحارِبُ الكُرْهَ بِلا هَوادَة

في دَواخِلِه وحَوالَيْهِ

الّذي ما إنْ يفتحَ عَيْنَيْهِ

في الصّباح

حتى يسألَ:

ماذا عليَّ اليومَ أنْ أفعلَ

كَيْ لا أُفْقِدَ صِفَتي

واعتزازي

كإنسانٌ؟

10 يناير 2015

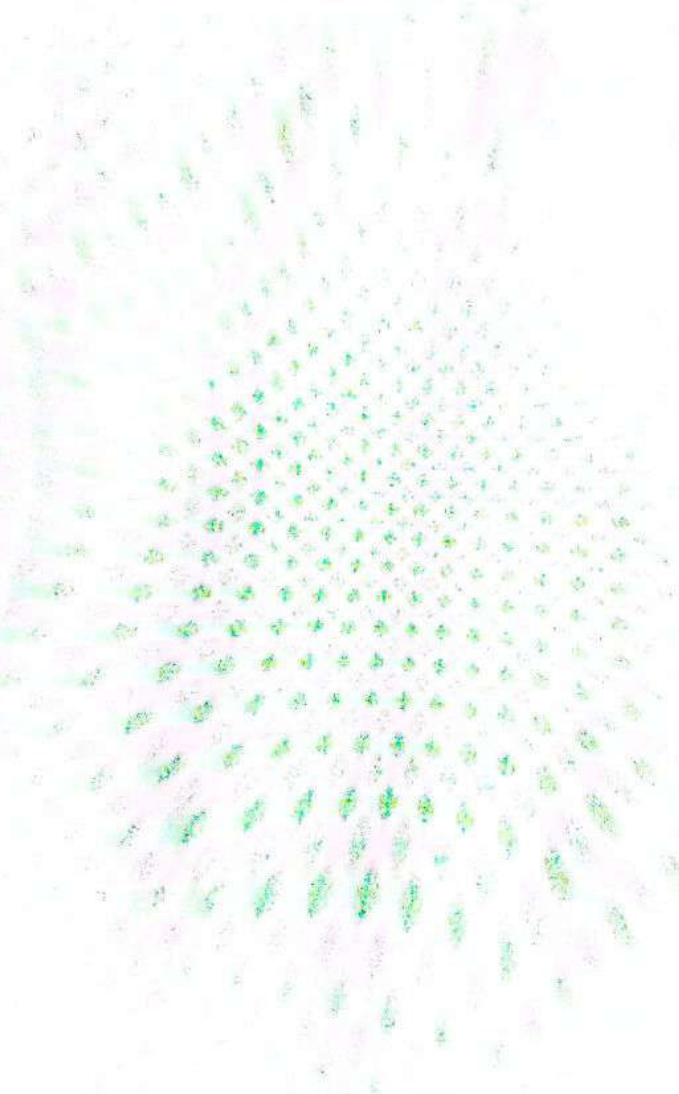

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفان ومائة

إنْ مرَّ كُلُّ شيء على ما يُرام

فسيحضر كلٌّ مِنْ مَيّ وغيوان(5)

نهاية هذا القرن

على أحسن حال ممكن

إنّي أخاف عليهما

وأغْبِطُهما في الآن ذاته

بَعْدَ سبعين أو ثمانين سنةً

ماذا سيكون مآلُ كوكبنا

ومآلُ إنسانيّتنا

هل ستقع خاتِمَة الحروب

أمْ سَيَنْبَلِجُ

عصرٌ ذهبيٌّ جديد

أيُّ لغزٍ لظاهرة الحياة

عَصِيّ اليوم

سَيَجِد حَلَّه

أيُّ مَلَكة عقليّة

يكاد وجودها لا يُذرَكُ حاليًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سَتُغتَمَدُ بشكل وافر

ماذا ستكون عليها الاستكشافات

وَلَوْ في حدود مجَرَّتِنا؟

في العمر المتقدِّم

الّذي سيبلغه حفيداي

هل سيكونان بدورهما جَدّيْن

في أيّ منطقة من العالم أو الفضاء

سوف يعيش المنحدرون من نَسلِهِما

ماذا سيأكلون

أيّ شيء سيضحكهمْ أو يبكيهمْ

من مِنْهُمْ سيصير قدّيسًا

ومن سيصبح وَغْدًا

هل الشِّعر سيستمرّ في الوجود

وهل سيحافظ على بعض الجذوى

لكي يغري أحدًا مِنْهُم

ليحْمِلَ من جديد

مِشْعَلَ سلَفِه البعيد

مَنْ مِنْهُمْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما يكون في مثل سنّي اليوم

سيحضن أحفاده

بنظرةٍ حنون

ويشرع بدوره

في طرح الأسئلة؟

أيّ نوع من الأسئلة

يا ثُرى؟

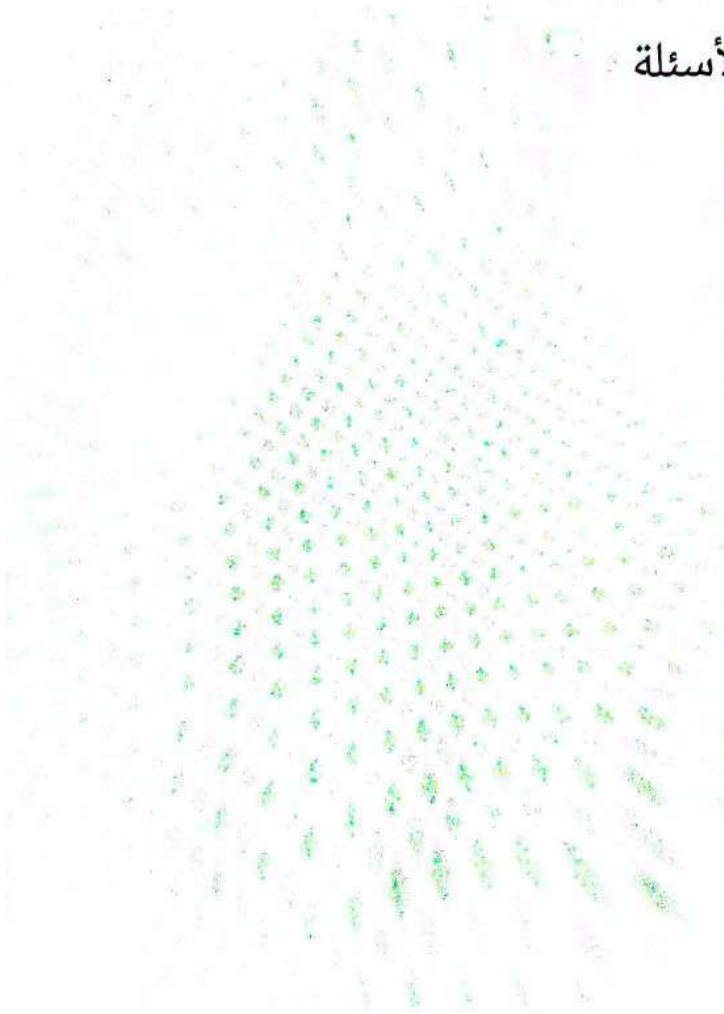

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَمَثَلِ ثَوْرٍ

كَمَثَلِ ثَوْرٍ

يرفض أن يَحمِلَ غمائم

أُجُرُّ مِحْراث الأمل

الأرض الواجب حرثها

أصبحت صلبة للغاية

والسِّكَكُ لا تصمد فيها

يلزمني اثنتين منها أو ثلاثًا

لحفر أُخْدود حَرْثٍ واحِدٍ

كَمَثَلِ ثَوْرٍ

أُجُرُّ مِحْراث الأمل

بِكُلِّ ما أوتيتُ من طاقة

واستِماتة

لم أَعُد أطرح على نفسي أسئلة

الـ«مُنْذُ متى» والـ«لماذا»؟

أُجُرُّ

لأنّني لا أستطيع

أن أَعودَ إلى الوراء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأترك من دون حَرْثٍ

الحقلَ الّذي قُدِّرَ لي

منذ زمن بعيد

أن أغرُسَ فيه حُزْمَةَ أحلامي

كَمَثَلِ ثَوْرٍ

أُجُرُّ مِحراث الأمل

والآنَ

وقَدْ خَبِرتُ الأنيار بِعُدَّتها

تؤلمني كتفاي وظهري وركبتاي

وأشدّها إيلامًا

روحي

لكنّي لا أستطيع التّوَقُّف

فنحن معشر الثيران

لا حقّ لنا في العُطلة

بَلْهَ التّقاعُدِ

عَلَينا أن نَجُرّ من دون أن نرفع الرَّأس

أو نَتيهَ في أفكارنا

إلى أنْ نَسقُط فجأة

سقطةً

لا ننْهَض بعدَها

كَمَثَلِ ثَوْرٍ

أُجُرُّ مِخراث الأمل

لم يَفُتْني

أَنَّ العَصْر الّذي نعيشه مُظْلِمٌ

وأنّ توازُن كوكبنا

آيِلٌ للاختلال

وأنّ مجانين

أكثر جُنونًا

من الّذين تُحَدِّثنا عنهم كُتُبُ التّاريخ

يأخذون هنا وهناك

بزِمام السّلطة

وأنّ قَتَلَةً

يحملون شارات المُنقذين

يَسيرون بيننا

بوَجْهٍ مكشوف

كَمَثَلِ ثَوْرٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجُرُّ مِخراث الأمل

وما زِلْتُ أرفض

أن أحمل غمائم

تبيَّن لي أنّ البذور الخصبة

التي آمُلُ أن تُزْرَعَ بعد كَدّي

باتت نادرة

إن لم تكن مغشوشة

ويحتكرها تجّارُ

الآمال الخادعة

ولكن

مِثْل أيِّ ثور يحترم نفسه

أعاندُ

وأُواصلُ الحفر

من دون أن أشتكي

أحيانًا

أَشْعُرُ جانبي

بِحُضورٍ

وفَوْقَ ظهري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِمُداعَبَةِ يَدٍ مُسْعِفَةٍ

أسمع صوتًا مُفْعَمًا

يهمس لي: تَشَجّعْ يا أخي

عليك بمجهود إضافي

لا بدّ من إنهاء المهمّة!

ورغم أنّي ثَوْر

أتأثرُ لذلك لدرجة البكاء

ولا أمْلِكُ إلّا أن أُجُرّ

وأواصل الجرّ

إلى أن يأتي اللّيل

اللّيل الأعظم

فيجْتاح وَغيي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحُبُّ يحُلُّ ضيفًا

ثمّة سؤال يفرض نفسه:

ماذا عن الحُبّ؟

جواب الأمس

كان وليد الأمس

وكلُّ سؤال جديد

يتطلَّبُ جوابًا جديدًا

وإلّا فلنُمْسِكْ عن الجواب

لَمْ تَعُدْ تُحِبُّ

كَما في زمنِ

شَبَقِ العين

والافتتان

و«الشراشف التي يمزّقُها الأُرَق»

لَمْ تَعُدْ تُحِبُّ

كما في زمن الفراقِ

زاهِدًا

وَثَنيًّا

تُجَنُّ من الألم

لمْ تَعُدْ تُحِبُّ

كما في زمن التَّلاقي

مُذْهِلًا

نَهِمًا

تَنْخُرُكَ الغيرة

حُرًّا وتخجلُ من حُرِّيتك

لم تَعُدْ تُحِبُّ

كَما في سابق عهدك

عندما نَحَتَّ

في الرّغبة،الشَّبق

والمُتْعَة

إحدى لُغاتِكَ الأكثر رهافةً

إذَنْ

كيف تُحِبُّ

اليَوْمَ

وكيف ستُحِبّ

غدًا؟

عن هذا السؤال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تملك جوابًا آخر

سِوى التّالي:

«بتَعاطي الحُبّ»!

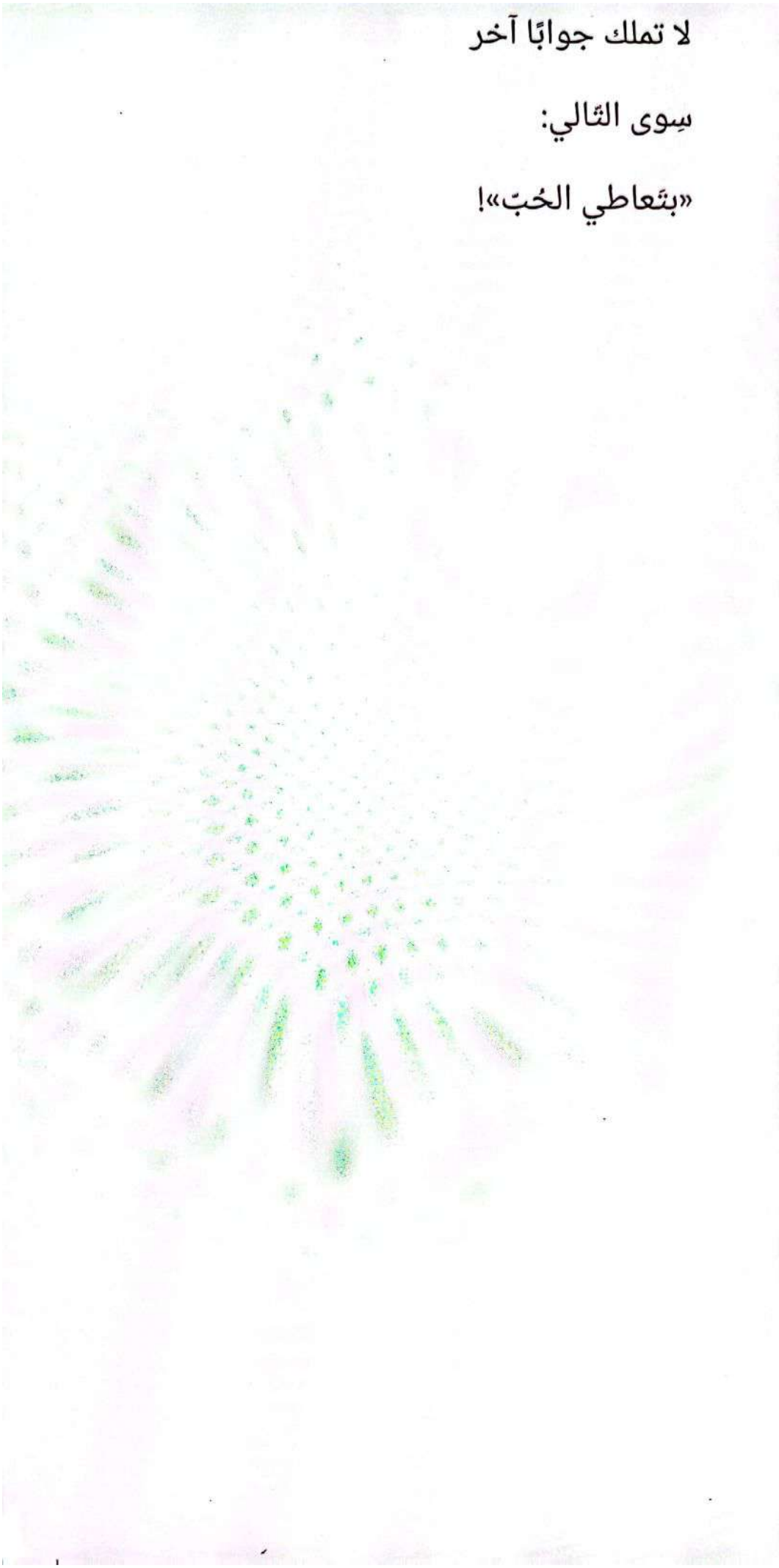

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثَلاثَةُ أيامٍ مشهودة

أيْ نَعَمْ

نَحن في حاجةٍ

إلى استعادة طعم الحياة

إلى استرداد شهيَّتنا

شهيّة المستقبل

لكن

علَينا ألّا نُمْعِنَ في شراهتنا

لِنَطْلُبْ ثلاثةَ أيّامٍ

ثلاثةَ أيّامٍ لا غير

سَيَقْبَلُ فيها الواقع المرّ

أنْ يُذْعِنَ لِلْحُلم

لقُوَّتِهِ المُنْعِمَة

ثلاثةَ أيّامٍ

حيث بِالطَّبْعِ

سَوْفَ يتوقّفُ صوت الأسلحة

والمقاتلون من جميع الفصائل

سيستفيدون من عطلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثلاثةَ أيّامٍ

حيث كلُّ المنبوذين

والمنفيّين والمهَجَّرين والهائمين

سيعودون إلى بيوتهم

وينعمون بهُدْنَةٍ يستحقونها

ثلاثةَ أيّامٍ

من السّلام الكونيّ

نقضي نصف الوقت ونحن نستريح

متلذِّذين بالصمت

الذي يسبق آلامَ الإبداع

وقلقه

والنِّصف الآخر

لنستريح أيضًا

ونحن نتأمَّلُ باهتمام فائق

هذا الجمال أو ذاك

الّذي لا نرْقى إلى تبَيُّنِهِ

في ظلّ عَمَهِنا الحاليّ

ثلاثة أيّام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثلاثة أيّام مشهودة

ستُساعِدُنا في ما بَعْدُ

كَيْ نحافظ في دواخلنا

على طعم الحياة

واسترجاع شهيّتنا

شهيَّةِ الْمستقبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نِهايَة

بعد حلّ العُقدَة

المعقولِ إلى حدٍّ ما

لَمْ تَعُدْ لفظة «النِّهايَة»

سارية في الأفلام

منذ أَمَدٍ طويل

هذه اللَّفظة المَهيبَة

اختفتْ من الكتب

فماذا سيحدث لِفيلْمِنا الكبير

الّذي نمثِّل فيه جميعًا أدوارًا

منذ البدايات

لِكتابنا الكبير

الّذي ما انفككْنا نَكْتُبُهُ

بِمليارات الأيدي؟

هل سيتَّبعان الموجة نفسها

أم سيعودان إلى العادة القديمة

الموائمة

للقوانين السّارية في الطَّبيعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ بما فيها الطّبيعة الإنسانيّة ـ

وللقيمة الراهنة لِلْيَأسِ

في البورصة؟

ما أيْسَرَ الأسئلة

ما أعْقَدَ

فنّ الإجابة عليها!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لَمَساتٌ أخيرة

الحقيقة؟

ما كنتُ أودُّ قوله

أَظُنُّ أنّي أجزَلْتُ فيه القول

ولَئِنْ ظللتُ متمسِّكًا لِمامًا

بالكتابة

فذلك إبراءً لِذِمَّتي

لوَضْعِ»اللّمسات الأخيرة«

وفق الحِرَفِيِّ الأمين

كريتاي، شتاء 2015 ـ ربيع 2017

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner